

الفصل الثالث

في نزول القرآن على سبعة أحرف وما يتعلق بذلك

أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقراني جبريل على حرف فراجعته . فلم أزل استزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة أحرف ، زاد مسلم قال ابن شهاب بلغني أن تلك السبعة إنما هي في الامر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام

وأخرج أيضاً عن عمر بن الخطاب انه قال سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكذت أسأوره في الصلاة . فنصبتها حتى سلم فليته بردائه . فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ . فقال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت كذبت . فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأنيها على غير ما قرأت . فانطلقت به أقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت اني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم يقرئها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله . أقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك أنزلت . ثم قال أقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي أقراني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك أنزلت . أن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه

وأخرج مسلم عن أبي بن كعب انه قال كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما

قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا قرأ
قراءة أنكرتها عليه ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه فأمرها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقرأ فحسن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما فسقط في نفسي
من التكذيب ولا أذكر في الجاهلية ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا وكأنا أنظر الى الله عز وجل
فرقا ، فقال يا أباي أرسل اليّ أن اقرأ القرآن على حرف فرددت اليه أن
هون على أمتي فردّ اليّ الثانية أن اقرأه على حرفين فرددت اليه أن هون
على أمتي فردّ اليّ الثالثة أن اقرأه على سبعة أحرف ولك بكل ردة ردتكها
مسألة تسألنيها - فقلت اللهم اغفر لأمي اللهم اغفر لأمي - وأخبرت الثالثة
ليوم يرغب اليّ الخلق كلهم حتى إبراهيم

وأخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود أنه سمع رجلا يقرأ آية سمع
النبي صلى الله عليه وسلم [يقرأ] خلفها [قال] فأخذت يده فانطلقت به
الى النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : كلا كما محسن . فقرأ [قال شعبة أحد
رواة هذا الحديث] أكبر علي [ان النبي صلى الله عليه وسلم] قال : فان
من كان قبلكم اختلفوا فأهلكوا

وأخرج أبو جعفر بن محمد بن جرير الطبري عن عبد الله بن مسعود انه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن اقرأ القرآن على سبعة أحرف -
كل كافر شاف

وأخرج عن أبي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
هذا القرآن انزل على سبعة أحرف فاقروا ولا حرج . ولكن لا تختصوا ذكر
رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة

وأخرج عن أم أيوب وهي امرأة أبي أيوب الانصاري أنها قالت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول نزل القرآن على سبعة أحرف . فإقوات أصبت وقد ورد حديث . أنزل القرآن على سبعة أحرف من رواية نحو عشرين من الصحابة وقد نص أبو عبيد على تواتره

وقد اختلف في المراد بالأحرف السبعة اختلافا كثيرا . وقد رأينا أن نورد هنا من الأقوال التي قبلت في ذلك ما يقتضي الحال إيرادها فنقول : —

القول الأول ان المراد بالأحرف السبعة الالوجه التي يقع بها الاختلاف في القراءة .

وهو قول ابن قتيبة ومن نحأ نحوه . قال والالوجه التي يقع بها ذلك سبعة أولها ما يتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته مثل ولا يُضار كاتب بالفتح والرفع

وثانيها ما يتغير بالفعل مثل باعد و باعد بلفظ الطلب والماضي وثالثها ما يتغير باللفظ مثل تنشرها ونشرها ورابعها ما يتغير بأبدال حرف قريب المخرج مثل طلع منضود وطلع منضود

وخامسها ما يتغير بالتقديم والتأخير مثل وجاءت سكرة الموت بالحق . وسكرة الحق بالموت

وسادسها ما يتغير بزيادة أو نقصان مثل والذكر والالئى . وما خلق الذكر والالئى

وسابعها ما يتغير بأبدال كلمة بأخرى مثل كالهمن المنفوش . وكالصفوف المنفوش

وتعقب ذلك قاسم بن ثابت في كتاب الدلائل بأن الرخصة وقعت
وأكثرهم يومئذ لا يكتب ولا يعرف الرسم وإنما كانوا يعرفون الحروف
ومخارجها وأجبت بأنه لا يلزم من ذلك توهين ما ذهب إليه ابن قتيبة لاحتمال
أن يكون الانحصار المذكور في ذلك وقع اتفاقاً وإنما اطلع عليه بالاستقراء
وقال أبو الفضل الرازي في اللوائح : الكلام لا يخرج عن سبعة
أوجه في الاختلاف

الاول اختلاف الاسماء . من أفراد وثنية وجمع وتذكير وتأنيث

الثاني اختلاف تعريف الافعال من ماض ومضارع وأمر

الثالث وجوه الاعراب

الرابع النقص والزيادة

الخامس التقديم والتأخير

السادس الابدال

السابع اختلاف اللغات كالفتح والامالة . والتوفيق والتفخيم . والادغام

والاظهار ونحو ذلك

وقال ابن الجزري "تدبعت القراءات صحيحها وشاذها وضعيفها ومنكرها

فاذا هي ترجع الى سبعة أوجه من الاختلاف . لانخرج عنها

وذلك اما بتغير في الحركات بلا تغير في المعنى والصورة نحو البخل

وبحسب بوجهين . واما بتغير في المعنى فقط نحو فقلقى آدم من ربه كلمات . .

و أما في الحروف بتغير المعنى لا الصورة نحو تبلو وتلو . وعكس ذلك نحو

الصراط والسرائط . أو بتغيرهما نحو فامضوا فاسموا . وأما في التقديم والتأخير

نحو فيمتلون ويقتلون . أو في الزيادة والنقصان نحو أوصى ووصى ،

فهذه سبعة لا يخرج الاختلاف عنها

قال وأما نحو اختلاف الاظهار والادغام والروم والاشمام والتخفيف والتسهيل والنقل والابدال فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع في اللفظ أو المعنى لأن هذه الصفات المتنوعة في أدائه لا تخرجه عن ان يكون لفظا واحدا هـ

القول الثاني ان المراد بالاحرف السبعة سبعة أوجه من المعاني المتفقة بالالفاظ المختلفة نحو اقبل وهم وتعال وعجل وأسرع. وأنظر وآخر وأهل ونحوه وكاللغات التي في أفّ ونحو ذلك

قال أبو عمر بن عبد البر وعلى هذا القول أكثر أهل العلم وأنكروا على من قال انها لغات لان العرب لا يرتكب بعضها لغة بعض ، ومحال ان يقرئ النبي صلى الله عليه وسلم أحدا بغير لغته ، قال فهذا يعني السبعة الاحرف المذكورة في الاحاديث عند جمهور أهل الفقه والحديث . منهم سفيان بن عيينة وابن وهب ومحمد بن جرير الطبري والطحاوي وغيرهم

قال ابن عبد البر وذكر ابن وهب في كتاب التروغيب من جامعه قال قيل لمالك أتري ان تقرأ مثل ماقرأ عمر بن الخطاب فامضوا الى ذكر الله قال ذلك جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه ، ومثل تعلمون ويعلمون قال مالك لا أرى باختلافهم في ذلك بأسا . وقد كان الناس ولهم مصاحف ، قال ابن وهب سألت مالكا عن مصحف عثمان فقال لي ذهب ؛ وأخبرني مالك قال أقرأ عبد الله بن مسعود رجلا أن شجرة الزقوم طعام الاثيم . فجعل الرجل يقول الينيم فقال طعام الفاجر . قلت لمالك أتري أن يقرأ بذلك قال نعم أرى ان ذلك واسع .

قال ابن عبد البر معناه عندي ان يقرأ به في غير الصلاة . وانما لم تجز القراءة به في الصلاة لان ماعدا مصحف عثمان لا يقطع عليه وانما يجري مجرى أخبار الآحاد لكنه لا يقدم أحد على القطع في رده وقد قال مالك فيمن قرأ في صلاة بقراءة ابن مسعود وغيره من الصحابة مما يخالف المصحف : لم يصل وراءه

وقد ذكر الطبري هذه المسألة في مقدمة تفسيره وبين رأيه فيها فرأينا أن نورد هنا ما قاله في ذلك ملخصا قال أبو جعفر بعد أن أورد روايته لحديث انزل القرآن على سبعة أحرف من طرق مختلفة : فصَحَّ وثبت أن الذي نزل به القرآن من ألسن العرب البعض منها دون الجميع اذ كان معلوما ان ألسنتها ولغاتها أكثر من سبعة بما يعجز عن احصائه

فان قال لنا قائل وما برهانك على ان معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم نزل القرآن على سبعة أحرف وقوله امرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف هو ما ادعيت به من انه نزل بسبع لغات وأمر بقراءته على سبعة ألسن دون أن يكون معناه ما قاله مخالفوك من أنه نزل بأمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل ونحو ذلك من الأقوال . فقد علمت قائلنا ذلك من سلف الامة وخيار الامة

قيل له ان الذين قالوا ذلك لم يدعوا ان تأويل الاخبار التي تقدم ذكرنا لها هو ما زعمت انهم قالوه في الاحرف السبعة التي نزل بها القرآن دون غيره فيكون ذلك لقولنا مخالفا . وانما أخبروا ان القرآن نزل على سبعة أوجه ، والذي قالوا من ذلك كما قالوا وقد روينا بمثل الذي قالوا من ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن جماعة من أصحابه أخبارا قد تقدم ذكرنا لبعضها

ونسنتقصي ذكر باقيها ببيانها اذا انتهينا اليه فأما الذي قد تقدم ذكرناه من ذلك
 نخبر أبي بن كعب من رواية أبي كريب عن ابن فضيل عن اسماعيل بن أبي
 خالد الذي ذكر فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أمرت أن أقرأ
 القرآن على سبعة أحرف من سبعة أبواب من الجنة والسبعة الاحرف هو
 ما قلنا من انه الألسن السبعة . والابواب السبعة من الجنة هي المعاني التي فيها
 من الامر والنهي والترغيب والترهيب والجلد والقصص والمثل التي اذا عمل
 بها العامل واتتهى الى حدودها المنتهي استوجب به الجنة وليس والحمد لله في
 قول من قال ذلك من المتقدمين خلاف لشيء مما قلناه

والدلالة على صحة ما قلناه ما تقدم ذكرنا له من الروايات الثابتة عن عمر
 ابن الخطاب وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب أنهم تماروا في القرآن فخالف
 بعضهم بعضا في نفس التلاوة دون ما في ذلك من المعاني وانهم احتكموا فيه
 الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستقرأ كل رجل منهم ثم صوّب جميعهم في
 قراءتهم على اختلافها حتى ارتاب بعضهم لتصويبه اياهم فقال النبي صلى الله
 عليه وسلم للذي ارتاب منهم عند تصويبه جميعهم ان الله أمرني أن أقرأ القرآن
 على سبعة أحرف

فقد وضح ان اختلاف الاحرف السبعة انما هو اختلاف ألفاظ باتفاق
 المعاني لا باختلاف معان موجبة اختلاف أحكام ، وبمثل الذي قلنا في ذلك
 صحت الاخبار عن جماعة من السلف والخلف ، قال عبد الله بن مسعود اني
 قد سمعت القراء فوجدتهم متقاربين . فاقروا كما علمتم وإياكم والتنطع . فأما
 هو كقول أحدكم هلم وتعال ، وقال : من قرأ القرآن على حرف فلا يتحولن
 عنه الى غيره

ومعلوم ان ابن مسعود لم يمن بقوله هذا من قرأ ما في القرآن من الامر أو النهي فلا يتحول عنه الى قراءة ما فيه من الوعد أو الوعيد ومن قرأ ما فيه من الوعد أو الوعيد فلا يتحول عنه الى قراءة ما فيه من القصص أو المثل - وإنما عني ان من قرأ بحرفه وحرفه قراءته فلا يتحول عنه الى غيره رغبة عنه ومن قرأ بحرف أبي أو بحرف زيد أو بحرف بعض من قرأ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ببعض الاحرف السبعة فلا يتحول عنه الى غيره رغبة عنه فان الكفر ببعضه كفر بجميعه - والكفر بحرف من ذلك كفر بجميعه يعني بالحرف ما وصفنا من قراءة بعض من قرأ ببعض الاحرف السبعة وروى الاعمش عن أنس أنه قرأ هذه الآية ان ناشئة الليل هي أشد وطأً وأصوب قيلاً - فقال له بعض القوم يا أبا حمزة انما هي أقوم فقال أقوم وأصوب وأهدى واحد

وحدث أيوب عن محمد انه قال نبئت أن جبرائيل وميكائيل اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له جبرائيل اقرأ القرآن على حرفين فقال له ميكائيل استزده فقال اقرأ القرآن على ثلاثة أحرف فقال له ميكائيل استزده قال حتى يبلغ سبعة أحرف قال محمد لا تختلف في حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهى هو كقولك نعال وهلم واقبل قال قال وفي قراءتنا ان كانت الا صيغة واحدة - وفي قراءة ابن مسعود ان كانت الا زقية واحدة

قال أبو جعفر فان قال لنا قائل فاذا كان تأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف عندك ما وصفت - فأوجدنا حرفاً في كتاب الله مقروءاً بسبع لغات فتحقق بذلك قولك - والا فان لم نجد ذلك كذلك كان معلوماً بعدمك صحة قولك من زعم أن تأويل ذلك أنه نزل

بسبعة معانٍ الأحر والنهي والوعد والوعيد والجدل والقصص والمثل وفساد قولك أو تقول في ذلك أن الأحرف السبعة لغات في القرآن سبع متفرقة في جميعه من لغات أحياء من قبائل العرب مختلفة اللسان كما قال بعض من لم يعم النظر في ذلك فتصير بذلك إلى القول بما لا يجهل فساد ذو عقل ولا يلبس خطؤه على ذي لب . لأن الأحرف السبعة إذا كانت لغات متفرقة في جميع القرآن فغير موجب حرف من ذلك اختلافاً بين تأليه لأن كل تال إنما يتلو ذلك الحرف تلاوة واحدة على ما هو به في المصحف وعلى ما أنزل . وإذا كان ذلك كذلك بطل وجه اختلاف الذين روي عنهم أنهم اختلفوا في قراءة سورة وفسد معنى أمر النبي صلى الله عليه وسلم كل قارئ منهم أن يقرأه على ما علم إذ كان لا معنى هنالك يوجب اختلافاً في لفظ ولا اقترافاً في معنى ، وكيف يجوز أن يكون هناك اختلاف بين القوم والعلم واحد غير ذي أوجه . وفي صحة الخبر عن الذين روي عنهم الاختلاف في حروف القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما تقدم وصفناه أبين الدلالة على فساد القول بأن الأحرف السبعة إنما هي أحرف سبعة متفرقة في سور القرآن لا أنها لغات مختلفة في كلمة واحدة بانفاق المعاني مع أن المتدبر إذا تدبر قول هذا القائل في تأويله قول النبي صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف وادعاه أن معنى ذلك أنها سبع لغات متفرقة في جميع القرآن ثم جمع بين قبيله ذلك واعتلاله لقليله بالأخبار التي رويت عن روى ذلك عنه من الصحابة والتابعين أنه قال هو بمنزلة قولك آمال وهلم وأقبل وإن بعضهم قال هو بمنزلة قراءة عبد الله الآزقية وهي في قراءتنا الأصبغة وما أشبه ذلك من حججه علم أن حججه مفسدة في ذلك مقالته وأن

مقاله فيه مضادة حججه اذ الذي نزل به القرآن عنده احدى القراءتين اما صيغة واما رقية واما تعال أو أقبل أو هلم لا جميع ذلك لان كل لغة من اللغات السبع عنده في كلمة أو حرف من القرآن غير الكلمة أو الحرف الذي فيه اللغة الاخرى واذا كان ذلك كذلك بطل اعتسلا له لقوله بقول من قال ذلك بمنزلة هلم وتعال وأقبل لان هذه الكلمات هي ألفاظ مختلفة يجمعها في التأويل معنى واحد وقد أبطل قائل هذا القول الذي حكينا عنه قوله اجتماع اللغات السبع في حرف واحد من القرآن . فقد تبين بذلك افساده حجته لقوله بقوله وافساده قوله بحجته . قيل له ليس القول في ذلك بواحد من الوجهين اللذين وصفت بل الأحرف السبعة التي أنزل الله بها القرآن هن لغات سبع في حرف واحد وكلمة واحدة باختلاف الالفاظ واتفاق المعاني كقول القائل هلم وأقبل وتعال والي ونحو ذلك مما يختلف فيه الالفاظ بضروب من المنطق وتتفق فيه المعاني

فان قال ففي أي موضع من كتاب الله نجد حرفاً واحداً مقروءاً بلغات سبع مختلفات الالفاظ متفقات المعنى فنسلم لك صحة ما ادعيت من التأويل في ذلك . قيل انا لم ندع أن ذلك موجود اليوم وإنما أخبرنا أن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف على نحو ما جاءت به الاخبار التي تقدم ذكرنا لها هو ما وصفنا دون ما ادعاه مخالفونا في ذلك للعلل التي بينا

فان قال فما بال الاحرف الستة غير موجودة ان كان الامر في ذلك على ما وصفت وقد أقرأهن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وأمر بالقراءة بهن وأنزلهن الله من عنده على نبيه صلى الله عليه وسلم . أنسخت فرفعت فما

الدلالة على نسخها ورفعها أم نسيتهن الامة فذلك تضييع ما قد أمروا بحفظه أم ما القضية في ذلك . قيل لم تنسخ قترفع ولا ضيعتها الامة وهي مأمورة بحفظها ولكن الامة أمرت بحفظ القرآن وخبرت في قراءته وحفظه بأي تلك الاحرف السبعة شاءت كما أمرت اذا هي حثت في البين وهي موسرة أن تكفر بأي الكفارات الثلاث شاءت اما بعث أو اطعام أو كسوة فلو أجمع جميعها على التكفير بواحدة من الكفارات الثلاث دون حظرها التكفير فيها بأي الثلاث شاء المكفر كانت مطيعة حكم الله مؤدية في ذلك الواجب عليها من حق الله فكذلك الامة أمرت بحفظ القرآن وقراءته وخبرت في قراءته بأي الاحرف السبعة شاءت فرأت لعة من اللل أوجبت عليها الثبات على حرف واحد قراءته بحرف واحد ورفض القراءة بالاحرف الستة الباقية ولم تحظر قراءته بجميع حروفه على قارئه بما أذن له في قراءته به

فان قيل وما العلة التي أوجبت عليها الثبات على حرف واحد دون سائر الاحرف الستة الباقية، قيل ثبت عند رواة الاخبار أنه اجتمع في غزواذر ييجان وأرمينية أهل الشام وأهل العراق فتذاكروا القرآن واختلفوا فيه حتى كاد تكون بينهم فتنة فركب حذيفة بن اليمان لما رأى اختلافهم في القرآن الى عمان فقال ان الناس قد اختلفوا في القرآن حتى اني والله لآخشى أن يصيبهم مثل ما أصاب اليهود والنصارى من الاختلاف ، ففرع عثمان لذلك فرعا شديدا ، فارسل الى حفصة فاستخرج الصحف التي كان أبو بكر أمر زيداً بجمعها . فتسوخ منها مصاحف وبعث بها الى الآفاق . وعزم على كل من عنده مصحف مخالف للمصحف الذي جمعهم عليه أن يحرقه فاستوثقت له الامة على ذلك بالطاعة ورأت فيما فعل من ذلك الرشد والهداية فتركت القراءة بالاحرف

السته التي عزم عليها امامها العادل في تركها طاعة منها له ونظرا منها لانفسها ولن بعدها من سائر أهل ملتها . حتى درست من الامة معرفتها . وتعفت آثارها . فلا سبيل لاحد اليوم الى القراءة بها لثورتها وعفو آثارها وتتابع المسلمين على رفض القراءة بها من غير جحود منها لصحتها وصحة شيء منها ولكن نظرا منها لانفسها ولسائر أهل دينها ، فلا قراءة اليوم للمسلمين الا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم الشفيق الناصح دون ما عدها من الاحرف الستة الباقية فان قال بعض من ضعفت معرفته وكيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهموها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم بقراءتها . قيل ان أمره إياهم بذلك لم يكن أمرايجاب وفرض وانما كان أمراباحة ورخصة لان القراءة بها لو كانت فرضا عليهم لوجب ان يكون العلم بكل حرف من تلك الاحرف السبعة عند من تقوم بنقله الحجة ويقطع خبره العذر ويزيل الشك من قراء الامة ، وفي تركهم فعل ذلك كذلك اوضح دليل على أنهم كانوا في القراءة بها مخبرين بعد ان يكون في نقلة القرآن من الامة من تجب بنقله الحجة ببعض تلك الاحرف السبعة ، فاذا كان ذلك كذلك لم يكن القوم بتركهم نقل جميع القراءات السبع تاريخين ما كان عليهم نقله بل كان الواجب عليهم من الفصل ما فعلوا اذ كان الذي فعلوا من ذلك كان هو النظر للاسلام وأهله فكان القيام بفعل الواجب عليهم أولى بهم من فعل ما لو فعلوه كانوا الى الجناية على الاسلام وأهله أقرب منهم الى السلامة من ذلك

فأما ما كان من اختلاف القراءة في رفع حرف وجره ونصبه وتسكين حرف وتحريكه ونقل حرف الى آخر مع اتفاق الصورة فن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم أمرت ان أقرأ القرآن على سبعة أحرف بمعزل لانه معلوم

أن الأحرف من حروف القرآن مما اختلفت القراء في قراءته بهذا المعنى يوجب المراء به كفر الماري به في قول أحد من علماء الامة

فان قال لنا قائل فهل لك من علم بالالسن السبعة التي نزل بها القرآن وأي الالسن هي من ألسن العرب قلنا أما الالسن الستة التي قد نزلت القراءة بها فلا حاجة بنا الى معرفتها لأننا لو عرفناها لم نقرأ اليوم بها مع الاسباب التي قدمنا ذكرها

وقد قيل أن خمسة منها لعجز هوازن واثنين منها لقريش وخزاعة

القول في البيان

عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن من سبعة أبواب الجنة روي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان الكتاب الاول نزل من باب واحد على حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف . زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال ، فأحلوا حلاله وحرّموا حرامه وأفعّلوا ما أمرتم به واتّهبوا عما نهيتهم عنه واعتبروا بأمثاله وأعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا

وروي عن أبي قلابة انه قال بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أنزل القرآن على سبعة أحرف أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل وروي عن أبي بن كعب أنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أمرني أن أقرأ القرآن على حرف واحد فقلت رب خفف عن أمّي قال اقرأه على حرفين فقلت اي رب خفف عن أمّي فأمرني أن أقرأه على سبعة أحرف من سبعة أبواب من الجنة كلها شاف كاف

وهذه الاخبار متقاربة المعاني

فأما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم كان الكتاب الاول نزل على حرف واحد ونزل القرآن على سبعة أحرف فهو ان كل كتاب تقدم كتابنا من الكتب المنزلة على نبي من أنبياء الله صلوات الله عليهم فأنما نزل بلسان واحد متى حول الى غير اللسان الذي نزل به كان ذلك له ترجمة وتفسيراً لا تلاوة له على ما أنزله الله ، وأنزل كتابنا بالسن سبعة بأي تلك اللسان السبعة تلاه التالي كان له تالياً على ما أنزله الله لا مترجماً ولا مفسراً حتى يحوله عن تلك اللسان السبعة الى غيرها فيصير فاعل ذلك حينئذ اذا أصاب معناه له مترجماً كما كان التالي لبعض الكتب التي أنزلها الله بلسان واحد اذا تلاه بغير اللسان الذي أنزل به له مترجماً لا تالياً على ما أنزله الله به

وأما معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الكتاب الاول نزل من باب واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب فانه صلى الله عليه وسلم عنى بقوله نزل الكتاب الاول من باب واحد والله أعلم ما ترك من كتب الله على ما أنزله من أنبيائه خالياً من الحدود والاحكام والحلال والحرام كزبور داود الذي أنما هو تذكير ومواعظ . وأنجيل عيسى الذي هو تمجيد ومحمد وحض على الصفح والاعراض دون غيرها من الاحكام والشرائع وما أشبه ذلك من الكتب التي نزلت ببعض المعاني السبعة التي يحوي جميعها كتابنا الذي خص الله به نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم وأمه فلم يكن المتعبدون بأقامته يمجدون لرضا الله تعالى ذكره مطلباً ينالون به الجنة ويستوجبون به القرية الا من الوجه الواحد الذي أنزل به كتابهم وذلك هو الباب الواحد من أبواب الجنة الذي نزل منه ذلك الكتاب

وخص الله نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم وأمه بأن أنزل عليهم كتابه

على أوجهه سبعة من الوجوه التي ينالون بها رضوان الله ويدركون بها الفوز بالجنة اذا أقاموها فلكل وجه من أوجه السبعة باب من أبواب الجنة للذي نزل منه القرآن . لان العامل بكل وجه من أوجه السبعة عامل على باب من أبواب الجنة وطالب من قبله الفوز بها فالعمل بما أمر الله جل ذكره في كتابه باب من أبواب الجنة . وترك ما نهى الله عنه فيه باب آخر ثان من أبوابها وتحليل ما أحل الله فيه باب ثالث من أبوابها . وتحريم ما حرم الله فيه باب رابع من أبوابها . والايمان بمحكمه المبين باب خامس من أبوابها . والتسليم لمتشابهه الذي استأثر الله بعلمه وحجب علمه عن خلقه والاقرار بأن كل ذلك من عند ربه باب سادس من أبوابها . والاعتبار بأمثاله والالتماظ بعقلانه باب سابع من أبوابها ، فجميع ما في القرآن من حروفه السبعة وأبوابه السبعة التي نزل منها جعله الله لعباده الى رضوانه هاديا ولم الى الجنة قائدا . انتهى ما قاله العلبري في ذلك ماخصا

وقال ابن عبد البر أنكر بعض أهل العلم ان يكون معنى سبعة أحرف سبع لغات لانه لو كان كذلك لم ينكر القوم بعضهم على بعض في أول الامر لأن ذلك من لغته التي طبع عليها . وأيضا فان عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم كلاهما قرشي وقد اختلفت قراءتهما ومحال ان ينكر عليه عمر اقفته

القول الثالث ان المراد بالسبعة الاحرف سبع لغات متفرقة

في القرآن لسبعة أحياء من قبائل العرب مختلفة الالسن .

والى هذا ذهب أبو عبيد القاسم بن سلام وثعلب وأبو حاتم السجستاني وغيرهم وقال الازهري في التهذيب انه المختار

وقد اختلف القائلون بهذا في تعيين السبع فأكثرها فقال بعضهم : أصل ذلك وقاعدته قريش ثم بنو سعد بن بكر لأن النبي صلى الله عليه وسلم استرضع فيهم وهو يخاطب في اللسان كنانة وهذيل وثقيفا وخزاعة وأسدا وضبة وألفافها لقريشهم من مكة وتكرارهم اليها ثم من بعد هذه تبا وقيسا ومن انضاف اليهم وسط جزيرة العرب

وقال قاسم بن ثابت ان قلنا من هذه الاحرف لقريش . ومنها لكنانة . ومنها لاسد . ومنها لهذيل . ومنها لثميم . ومنها لضبة والافافها . ومنها لقيس لكان قد أتى على قبائل مضر في قراءات سبعة تستوعب اللغات التي نزل بها القرآن وهذه الجملة هي التي اليها انتهت الفصاحة وسامت لغاتها من الدخل قال أبو عمر بن عبد الله وأنكر آخرون كون كل لغات مضر في القرآن لان فيها شواذ لا يقرأ بها مثل كشكشة قيس وععنة تميم فكشكشة قيس انهم يجعلون كاف المؤنث شيئا فيقولون في جعل ربك تحنك سرياً . ربش نحنش . وععنة تميم انهم يقولون في ان عن فيقروون عسى الله عن يأتي بالفتح . وبعضهم يبدل السين تاء فيقول في الناس التات . وهذه لغات يرغب بالقرآن عنها ،

وما نقل عن عثمان من انه قال نزل القرآن بلسان مضر معارض بما نقل عنه من أنه قال القرآن نزل بلسان قريش . وهذا أثبت عنه لانه من رواية ثقات أهل المدينة

وقال أبو عبيد اللغات السبع مفرقة في القرآن فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة هوازن وبعضه بلغة اليمن وغيرهم . قال وبعض اللغات أسعد به من بعض وأكثر نصيبا

وجاء عن أبي صالح عن ابن عباس انه قال نزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة المعجز من هوازن . وهم خمس قبائل أو أربع . منها سعد بن بكر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسترضعا فيهم . وجشم بن بكر ونضر ابن معاوية وثقيف ،

وهؤلاء كلهم من هوازن . ويقال لهم عليا هوازن ، ولهذا قال أبو عمرو ابن العلاء أفصح العرب عليا هوازن وسقلى قم يعني بني دارم قال أبو حاتم وخص هؤلاء دون ربيعة وسائر العرب لقرب جوارهم من مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومنزل الوحي قال وأحب الالفاظ واللغات اليانا ان يُقرأ بها لغات قريش ثم أدناهم من بطون مضر

وأخرج أبو عبيد من وجه آخر عن ابن عباس انه قال نزل القرآن بلغة الكهين قبل وكيف ذاك قال لان الدار واحدة يعني ان خزاعة كانوا جيران قريش فسهلت عليهم لغتهم

وقال أبو حاتم نزل القرآن بلغة قريش وهذيل وتيم الرباب والازد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر وأنكر ذلك ابن قتيبة وغيره وقالوا لم ينزل القرآن الا بلغة قريش لقوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه

واستبعد بعض العلماء دلالة هذه الآية على ذلك الا انه عند امعان النظر يدين قوة قول من قال ان القرآن لم ينزل الا بلغة قريش وذلك لامرين أحدهما انها لغة النبي صلى الله عليه وسلم

والثاني انها أفصح اللغات ، ولذا ذكر لك شيئا مما قيل في قريش وقصاحتها . قال ابن فارس في ققه اللغة : —

باب القول في أفصح العرب

أخبرني أبو الحسن أحمد بن محمد مولى بني هاشم بقزوين . قال حدثنا أبو الحسن محمد بن عباس الخشكي . حدثنا اسماعيل بن أبي عبيد الله قال أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالمهم أن قريشا أفصح العرب السنة وأصفاهم لغة . وذلك أن الله تعالى اختارهم من جميع العرب واختار منهم نبي الرحمة محمداً صلى الله عليه وسلم . فجعل قريشا قطاً أن حرمه وولاة بيته . فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يقدون إلى مكة للحج ويتحكون إلى قريش في أمورهم وكانت قريش تعلمهم مناسكهم وتحكم بينهم ، ولم تزل العرب تعرف لقريش فضلها عليهم وتسميها أهل الله لأنهم الصريح من ولد اسماعيل عليه السلام لم تشبههم شائبة ولم تنقلهم عن مناسبتهم ناقلة . فضيلة من الله جل ثناؤه لهم وتشريفها . إذ جعلهم رهط نبيه الأدينين وعترته الصالحين . وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب يخبروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم . فاجتمع ما يخبروا من تلك اللغات إلى سلاقتهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب . ألا ترى أنك لا نجد في كلامهم غنة نعيم ولا عجرية قيس ولا كشكشة أسد . ولا كسكة ربيعة ولا الكسر تسمعه من أسد وقيس مثل قلعون ولعلم ومثل شعير ويعير

وقال الغراء كانت العرب نحضر الموسم في كل عام ونحج البيت في الحاهلية وقريش يسمعون لغات العرب فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به فصاروا أفصح العرب، وخلت أفتهم من مستبشع اللغات ومستبجح الالفاظ .

ثم ذكر ما يوجد في لغات غيرهم من مستبشع اللغات كالشكشة
والكسكة والعننة وغير ذلك وأطال

وقال أبو نصر الفارابي في أول كتابه المسمى بالالفاظ والحروف: كانت
قريش أجود العرب انتقاءً للافصح من الالفاظ وأسهلها على اللسان عند
النطق وأحسنها مسموعاً وأبينها إبانة عما في النفس ، والذين عنهم نقلت اللغة
العربية وبهم اقتدي وعندهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس
وتميم وأسد . فان هؤلاء هم الذين عنهم أخذ أكثر ما أخذوه معظمه . وعليهم
اتسكل في الغريب وفي الاعراب والتصريف . ثم هذيل وبعض كنانة وبعض
الطائيين . ولم عن غيرهم من سائر قبائلهم ، وبالجملة لم يؤخذ عن حضري قطي
ولاعن سكان البراري ممن كان يسكن اطراف بلادهم المجاورة لسائر الامم
الذين حولهم . فانه لم يؤخذ لا من لحم ولا من جذام لجاورتهم أهل مصر
والقبط . ولا من قضاة وغسان واياهم لجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى
يقرؤون بالعبرانية . ولا من تغلب واليمن فأنهم كانوا بالحزيرة مجاورين
لليونان ولا من بكر لجاورتهم للنبط والفرس ولا من عد القيس وازدعمان
لانهم كانوا بالبحرين محاطين للهند والفرس . ولا من أهل اليمن لمخاطبتهم
للهند والحبشة . ولا من بني حنيفة وسكان البامة . ولا من ثقيف وأهل الطائف
لمخاطبتهم تجار اليمن المقيمين عندهم . ولا من حاضرة الحجاز لان الذين
نقلوا اللغة صادفهم حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الامم
وفسدت ألسنتهم ؛ والذي نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء وأثبتها في
كتاب فصرها علما وصناعة هم أهل البصرة والكوفة فقط من بين
أمصار العرب هـ

وقال الحافظ ابن حجر المسقلاني في فتح الباري في شرح البخاري في باب نزل القرآن بلسان قریش والعرب لقول الله تعالى قرآنًا عربيًا . بلسان عربي مبين : وأما نزوله بلغة قریش فذكر في الباب من قول عثمان ، وقد أخرج أبو داود من طريق كعب الانصاري ان عمر كتب الى ابن مسعود ان القرآن نزل بلسان قریش . فأقرئ الناس بلغة قریش لا بلغة هذيل ، وأما عطف العرب عليه فن عطف العام على الخاص لان قریشا من العرب ، وأما ما ذكره من الآيتين فهو حجة لذلك ، وقد أخرج ابن أبي داود في المصاحف من طريق أخرى عن عمر قال اذا اختلفتم في اللغة فاكتبوها بلسان مضر اه ومضر هو ابن نزار بن معد بن عدنان . واليه تنتهي انساب قریش وقيس وهذيل وغيرهم ، وقال القاضي أبو بكر بن الباقلاني معنى قول عثمان نزل القرآن بلسان قریش أي معظمه ، وانه لم تقم دلالة قاطعة على ان جميع بلسان قریش فان ظاهر قوله تعالى انا جعلناه قرآنًا عربيًا انه نزل بجميع ألسنة العرب . ومن زعم انه أراد مضر دون ربيعة أو همدان اليمن أو قریشا دون غيرهم فعليه البيان . لان اسم العرب يتناول الجميع تناولا واحدا ، ولو ساغت هذه الدعوى لساغ للآخر أن يقول نزل بلسان بني هاشم مثلا لانهم أقرب نسبا الى النبي صلى الله عليه وسلم من سائر قریش ، وقال أبو شامة يحتمل أن يكون قوله نزل القرآن بلسان قریش أي في ابتداء نزوله ثم أبيع ان يقرأ بلغة غيرهم كما سيأتي تقريره في باب انزل القرآن على سبعة أحرف . اه وتكلمته ان يقول انه نزل أولا بلسان قریش أحد الاحرف السبعة ثم نزل باقي الاحرف السبعة المأذون في قراءتها تسهيلا وتيسيرا كما سيأتي بيانه فلما جمع عثمان الناس على حرف واحد رأى أن الحرف الذي نزل القرآن أولا بلسانه

أولى الاحرف فحمل الناس عليه لكونه لسان النبي صلى الله عليه وسلم ولما له من الاولوية المذكورة. وعليه يحمل كلام عمر لابن مسعود أيضا هـ

وقال بعض العلماء ان القرآن كله نزل بلغة قريش غير أن قريشا دخل في لغتهم شيء من لغات غيرهم من قبائل العرب مما اختاروه منها فصار ذلك من لغتهم وبذلك يرتفع الخلاف بين الفريقين

ونظير هذا القول ما قاله أبو عبيد في المغرب كالسجل والتسطام والجبت وذلك ان بعض العلماء ذهب الى انه قد وقع في القرآن ألفاظ منها ما هو بلسان الفرس ومنها ما هو بلسان غيرهم كالروم والحباش

وأنكر بعض العلماء ذلك وأعظم هذا القول وأكبره وقال ليس في القرآن شيء من كلام المعجم وهو كله بلسان عربي قال الله تعالى انا جلتنا قرآنا عربيا وقال تعالى بلسان عربي مبين

وقال أبو عبيد والصواب من ذلك عندي والله أعلم مذهب فيه تصديق القولين جميعا وذلك ان هذه الحروف وأصولها عجمية كما قال الفقهاء الا أنها سقطت الى العرب فأعربت بالسنن وحولتها عن ألفاظ المعجم الى ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب فن قال انها عربية فهو صادق ومن قال انها عجمية فهو صادق

هذا وقد اعترض على القول الثالث وهو ان المراد بالسبعة الاحرف سبع لغات متفرقة في القرآن لسبعة احياء من قبائل العرب مختلفة الالسن بأن الامر لو كان كذلك لم يقع اختلاف بين التالين لان كل لغة من اللغات السبع عند القائلين بهذا القول في كلمة من القرآن غير الكلمة التي فيها اللغة الاخرى ويوضح لك مرادهم قول بعضهم اللغات السبع مفرقة في القرآن فبعضه

بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة هوازن وبعضه بلغة اليمن وغيرهم
وبعض اللغات أسمع به من بعض وأكثر نصيبا وكأن القائلين به لم يمنوا
بالتنظير في مورد قول النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن انزل على سبعة
أحرف - فافروا ما تيسر منه - وهذا الاعتراض أورده الطبري وقد ذكرنا آفا
ما قاله في ذلك على طريق البسط

القول الرابع ان المراد بالسبعة الاحرف سبعة أنواع من

الكلام كل نوع منها جزء من أجزاء القرآن وقد اختلف القائلون به في تعيين
السبعة - والمشهور في ذلك قول من قال انها أمر ونهي وحلال وحرام ومحكم
ومتشابه وأمثال واحتجوا على ذلك بما روي عن ابن مسعود عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال كان الكتاب الاول ينزل من باب واحد على حرف
واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف زاجر وأمر وحلال
وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال، فأحلوا حلاله - وحرموا حرامه - وأفعلوا ما أمرتم
به واتهوا عما نهيتهم عنه - واعتبروا بأمثاله وأعملوا بمحكمه - وآمنوا بمتشابهه وقولوا
آمنا به كل من عند ربنا - أخرجه أبو عبيد وغيره

قال في فتح الباري قال ابن عبد البر هذا حديث لا يثبت لانه من رواية
أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ابن مسعود ولم يلق ابن مسعود وقد رده قوم
من أهل النظر منهم أبو جعفر أحمد بن أبي عمران، قلت وأظن الطبري في
مقدمة تفسيره في الرد على من قال به - وحاصله انه يستحيل ان يجتمع في
الحرف الواحد هذه الواجهة السبعة، وقد صحح الحديث المذكور ابن حبان
والحاكم وفي تصحيحه نظرا لانتقاعه بين أبي سلمة وابن مسعود - وقد أخرجه
البيهقي من وجه آخر عن الزهري عن أبي سلمة مرسلا وقال هذا مرسل جيد

ثم قال ان صح فعنى قوله في هذا الحديث سبعة أحرف أي سبعة أوجه كما فسرنا في الحديث. وليس المراد الاحرف السبعة التي تقدم ذكرها في الاحاديث الاخرى لان سياق تلك الاحاديث يأبى حملها على هذا بل هي ظاهرة في ان المراد ان الكلمة الواحدة تقرأ على وجهين وثلاثة وأربعة الى سبعة تهويناً وتيسيراً، والشئ الواحد لا يكون حراماً وحلالاً في حالة واحدة هـ

وقال ابن عطية : هذا القول ضعيف لان هذه لا تسمى أحرفاً وأيضاً فالاجماع على أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال ولا في تحليل حرام ولا في تفسير شي من المعاني المذكورة

وقال المازدي هذا القول خطأ لانه صلى الله عليه وسلم أشار الى جواز القراءة بكل واحد من الحروف وابدال حرف بحرف وقد أجمع المسلمون على تحريم ابدال آية أمثال بآية أحكام، وقال أبو شامة يحتمل أن يكون التفسير المذكور للابواب لا للاحرف أي هي سبعة أبواب من أبواب الكلام وأقسامه أي أنزله الله على هذه الاصناف لم يقتصر منها على صنف واحد كغيره من الكتب ؛ وقد اوردنا في اثناء بيان القول الثاني ما قاله الطبري في معنى هذا الحديث وما يتعلق به ملخصاً

وهذه الاقوال الاربعة هي أشهر ما قيل في معنى حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف وأظهرها القول الاول وهو أن المراد بالسبعة الاحرف سبعة أوجه يقع الاختلاف بها في القراءة مع عدم التضاد في المعنى

وقال بعض العلماء ان المراد بالسبعة الاحرف سبع قراءات وحكي عن الخليل بن أحمد واستضعفه بعضهم جداً وكأنه لم يشعر بأنه بمعنى القول الاول

غير أنه عبر عنه بعبارة أخرى

القول الخامس ان المراد بالسبعة الاحرف سبعة أوجه في

خواتم الآي مثل سميما حكيمًا وعلما حكيمًا

ودليل القائلين به ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أنزل القرآن على سبعة أحرف ، ان قلت غفورا رحيمًا أو قلت عزيزا حكيمًا قاله كذلك ما لم تحتم آية رحمة بآية عذاب أو آية عذاب بآية رحمة وقال ابن عبد البر انما اراد بهذا ضرب المثل للحروف التي نزل القرآن عليها أنها معان متفق مفهومها مختلف مسموعا لا يكون في شيء منها معنى وضده ولا وجه يخالف معنى وجه خلافا ينفيه ويضاده كالرحمة التي هي خلاف العذاب وضده وقال بعض العلماء هذه السبعة انما هي سبعة أوجه في أسماء الله تعالى واذا صحت هذه الرواية حملت على أنه مما نسخ - فانه لا يجوز للناس أن يبدلوا اسما لله بغيره مما يوافق معناه أو يخالفه

وكان بعض الحفاظ ينكر صحة هذه الرواية فانه قال في اثبات ماذهب اليه من عدم جواز الرواية بالمعنى : وبرهان ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم علم البراء بن عازب دعاء وفيه ونييك الذي أرسلت - فلما أراد البراء ان يعرض ذلك الدعاء على النبي صلى الله عليه وسلم قال ورسولك الذي أرسلت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا - ونييك الذي أرسلت ، فأمره عليه السلام أن لا يضع لفظة رسول في موضع لفظة نبي . وذلك حق لا يحيل معنى وهو عليه السلام رسول ونبي ، فكيف يسوغ للجهال المغفلين ان يقولوا انه عليه السلام كان يجيز أن يوضع في القرآن مكان عزيز حكيم غفور رحيم أو سميع علم وهو يمنع من ذلك في دعاء ليس قرآنا - والله يقول مخبرا عن نبيه : ما يكون

لي أن أبدله من تلقاء نفسي، ولا تبديل أكثر من وضع كلمة موضع أخرى.

القول السادس ان المراد بالسبعة الاحرف سبعة أوجه.

أحدها التذكير والتأنيث كقوله ولا يقبل منها شفاعه. ولا تقبل

الثاني الجمع والتوحيد كقوله والذين هم لأماناتهم. ولأمانتهم

والثالث الاعراب كقوله ذو العرش المجيد والمجيد

والرابع التصريف كقوله يعكفون ويعكفون

والخامس اختلاف الادوات مثل لكن بالتخفيف والتشديد كقوله

ولكن البر ولكن البر

والسادس اختلاف اللغات في نحو المد والقصر. والهمز وتركه. والامالة

والتفخيم. والادغام والاعطار

السابع تغيير اللفظ من المتكلم الى الغائب ونحو ذلك كقوله ندخله

ويدخله

القول السابع ان المراد بالسبعة الاحرف سبعة أوجه في

أداء التلاوة وكيفية النطق بالكلمات التي فيها من ادغام واعطار وتفخيم وترقيق

وامالة واشباع ومد وقصر وتشديد وتخفيف وتلين لان العرب كانت مختلفة

اللغات في هذه الوجوه فيسر الله عليهم ليقرا كل انسان بما يوافق لفته ويسهل

على لسانه. وحكي هذا القول عن الفراء

والاقوال في هذه المسألة كثيرة وغالبها بعيد عن الصواب وكان القائلين

بذلك ذهلوا عن مورد حديث أنزل القرآن على سبعة احرف فقالوا ما قالوا

وقال الحافظ ابو حاتم بن حبان البستي: اختلف اهل العلم في معنى

الاحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً فذكرها ونحن نذكر منها اربعة عشر قولاً : —

الاول - زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومثابه وأمثال

الثاني - وعد ووعد وحلال وحرام ومواعظ وأمثال واحتجاج

الثالث - محكم ومثابه وناسخ ومنسوخ وخصوص وعموم وقصص

الرابع سبع جهات لا يعتمد أها الكلام . لفظ خاص أريد به الخاص .

ولفظ عام أريد به العام . ولفظ عام أريد به الخاص . ولفظ خاص أريد به

العام ولفظ يستغني بتنزيله عن تأويله . ولفظ لا يعلم قته "لا العلماء" . ولفظ

لا يعلم معناه الا الراسخون في العلم

الخامس - اظهار الربوبية وإثبات الوجدانية . وتعظيم الألوهية . والتعبد

لله . ومجانبة الاشرار . والترغيب في الثواب . والترهيب من العقاب

السادس - سبع لغات منها خمس في هوازن واثنان لسهل العرب

السابع - سبع لغات متفرقة لجميع العرب كل حرف منها لقبيلة مشهورة

الثامن - سبع لغات . لغة قریش . ولغة اليمن . ولغة لجرم . ولغة لهوازن .

ولغة لقضاة . ولغة لخم . ولغة لطي .

التاسع - لغة الكمين كعب بن عمرو وكعب بن لؤي . ولها سبع لغات

العاشر - اللغات المختلفة لاهياء العرب في معنى واحد مثل هلم وهات

وتعالى وأقبل

الحادي عشر - همز وإمالة وفتح وكسر وتفتيح ومد وقصر

الثاني عشر - أنها في أسماء الرب . مثل الغفور الرحيم السميع البصير

العليم الحكيم

الثالث عشر هي آية في صفات الذات - وآية تفسرهما في آية أخرى .
 وآية يأتيا في السنة الصحيحة . وآية في قصص الانبياء ، والرسل - وآية في خلق
 الاشياء - وآية في وصف الجنة - وآية في وصف النار
 الرابع عشر . أنها آية في اثبات الصانع - وآية في اثبات وحدانيته - وآية
 في اثبات صفاته - وآية في اثبات رسله - وآية في اثبات كتبه - وآية في اثبات
 الاسلام - وآية في ابطال الكفر

وقد أوردتها الحافظ جلال الدين بأسرها في الاتقان ثم قال قل ابن
 حبان فبذه خمسة وثلاثون قولاً لاهل العلم واللغة في معنى انزال القرآن على
 سبعة أحرف وهي أقاويل يشبه بعضها بعضاً وكلها محتملة ويحتمل غيرها وقال
 الشرف المرسى : هذه الوجوه أكثرها متداخلة ولا أدري مستندها ولا
 عن قتلت ولا أدري لم خص كل واحد منهم هذه الأحرف السبعة بما ذكر
 مع ان كلها موجودة في القرآن فلا أدري معنى التخصيص - ومنها أشياء لا أفهم
 معناها على الحقيقة - وأكثرها معارضة حديث عمر وهشام بن حكيم الذي في
 الصحيح . فإنهما لم يختلفا في تفسيره ولا أحكامه وإنما اختلفا في قراءة حروفه ،

وقد ظن كثير من العوام ان المراد بها القراءات السبع وهو جهل قبيح ه
 وقال أبو جعفر محمد بن سعدان النحوي هذا الحديث من المشكل
 الذي لا يدري معناه لان الحرف يصدق لغة على حرف الهجاء وعلى الكلمة
 وعلى المعنى وعلى الجهة - ونما نحوه الحافظ المذكور في حاشيته على سنن النسائي
 حيث قال بعد ذكره لحديث ان هذا القرآن انزل على سبعة أحرف : في المراد
 به أكثر من ثلاثين قولاً حكيتها في الاتقان ، والختار عندي انه من المتشابه
 الذي لا يدري تأويله ه

وقد أفاض في بيان معناه كثير من الفقهاء والقراء وأهل التفسير والحديث والكلام وغيرهم حتى ان بعضهم أفردوه بالتصنيف منهم العلامة عبد الرحمن المعروف بأبي شامة وهو جدير بذلك - وقد رأيت ان أورد هنا على طريق التلخيص بعض ما ذكره بعض العلماء الاعلام في ذلك لاشتماله على شيء مما لم يذكر من قبل

قال بعضهم اختلف الناس في معنى قول النبي عليه السلام ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف - فافروا ما تيسر منه - فقيل ان ذلك في الذي يقال على سبعة أوجه كآف ونحوه

وزعم قوم ان كل كلمة تختلف القراء فيها فانها على سبعة أوجه ويعرف بعض الوجوه بمجىء الخبر - ولا يعرف البعض منها اذا لم يأت بها خبر وقال قوم ظاهر الحديث يوجب ان يكون في القرآن ما يقرأ على سبعة أوجه - فاذا وجد ذلك في كلمة أو كلمتين تم معنى الحديث

وزعم قوم ان المراد به انه أنزل على سبع لغات ويرد عليه ان لغة عمر وأبي وابن مسعود كانت واحدة وقراءتهم مختلفة - وفي ذلك نظر - لان لغتهم ليست واحدة في كل شيء - فان ما استعملته قريش ومنهم عمر وما استعملته الانصار ومنهم أبي - وما استعملته هذيل ومنهم ابن مسعود قد يختلف ، وذلك النحو من الاختلاف هو الاختلاف في كتاب الله

وقد اختلف في القبائل السبع التي أنزل القرآن بلغاتها فقيل كلها من قبائل مضر وقيل غير ذلك

وذكر أبو عبيد القاسم بن سلام وأبو العباس المبرد ان عرب اليمن من

القبائل التي أنزل القرآن بلغاتهم والظاهر أن ذلك إنما هو فيما استعمله أهل الحجاز من لغة أهل اليمن

وقال قوم معنى الحديث أن القرآن أنزل على سبعة أوجه من اللغات والإعراب ، ومن تأمل أوجه القراءات وجدها سبعة هـ

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري بعد تفسيره للسبعة الاحرف بسبعة أوجه يجوز أن يقرأ بكل وجه منها : وليس المراد أن كل كلمة ولا جملة منه تقرأ على سبعة أوجه بل المراد أن غاية ما انتهى اليه عدد القراءات في الكلمة الواحدة الى سبعة ، فان قيل فانا نجد بمض الكلمات يقرأ على أكثر من سبعة أوجه . فالجواب أن غالب ذلك اما لا يثبت الزيادة واما أن يكون من قبيل الاختلاف في الاداء كما في المد والامالة ونحوها ، وقيل ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد بل المراد التسهيل والتيسير . ولفظ السبعة يطلق على ارادة الكثرة في الآحاد كما يطلق لفظ السبعين في العشرات والسبعائة في المئين ولا يراد العدد المعين والى هذا جنح عياض ومن تبعه وذكر القرطبي عن ابن حبان أنه بلغ الاختلاف في معنى الاحرف السبعة الى خمسة وثلاثين قولاً ولم يذكر القرطبي منها سوى خمسة وقال المنذري " أكثرها غير مختار ولم أفق على كلام ابن حبان بعد تبقي مظانّه من صحيحه وسأذكر ما انتهى اليّ من أقوال العلماء في ذلك مع بيان المقبول منها والمردود ان شاء الله تعالى في آخر هذا الباب وقال بعد ذكره لقول النبي عليه السلام فاقروا ما تيسر منه أي من المنزل : وفيه اشارة الى الحكمة في التعدد المذكور وأنه للتيسير على القارئ . وهذا يقتوي قول من قال المراد بالاحرف تأدية المعنى باللفظ المرادف ولو كان من لغة واحدة لان لغة هشام وكذلك عمر لغة قریش ومع

ذلك فقد اختلفت قراءتهما - به على ذلك ابن عبد البر، ونقل عن أكثر أهل العلم أن هذا هو المراد بالاحرف السبعة، وذهب أبو عبيدة وآخرون إلى أن المراد اختلاف اللغات وهو اختيار ابن عطية وتعقب بأن لغات العرب أكثر من سبعة وأجيب بأن المراد افصحها

وقال أبو حاتم السجستاني نزل القرآن بلغة قريش وهذيل وتيمم الرباب والأزد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر - واستنكره ابن قتيبة واحتج بقوله تعالى وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه - فعلى هذا تكون للغات السبع في بطون قريش - وبذلك جزم أبو علي الأهوازي

وقال أبو عبيد ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات بل اللغات السبع مفرقة فيه فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة هوازن وبعضه بلغة اليمن وغيرهم قال وبعض اللغات أسعد به من بعض وأكثر نصيبا وقيل نزل بلغة مضر خاصة لقول عمر نزل القرآن بلغة مضر

وعين بعضهم فيما حكاه ابن عبد البر السبع من مضر أنهم هذيل وكنانة وقيس وضبة وتيمم الرباب وأسد بن خزيمه وقريش - فهذه قبائل مضر تستوعب سبع لغات

ونقل أبو شامة عن بعض الشيوخ أنه قل أنزل القرآن أولا بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء ثم أبيح للعرب أن يقرؤوه بلغاتهم التي جرت هادتهم باستعمالها على اختلافهم في الالفاظ والاعراب - ولم يكلف أحد منهم الانتقال من لغته إلى لغة أخرى للمشقة ولما كان فيهم من الحمية وليلطلب تسهيل فهم المراد - كل ذلك مع اتفاق المعنى - وعلى هذا يتنزل اختلافهم في القراءة كما تقدم وتصويب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا

منهم ، قلت : وثمة ذلك أن يقال ان الإباحة المذكورة لم تقع بالتشهي أي ان كل أحد يغير الكلمة بمرادها في لغته بل المراسي في ذلك السماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشير الى ذلك قول كل من عمر وهشام في حديث الباب أقرأني النبي صلى الله عليه وسلم . لكن ثبت عن غير واحد من الصحابة انه كان يقرأ بالمرادف ولو لم يكن مسموعاً له . ومن ثم أنكر عمر على ابن مسعود قراءته عني حين أي حتى حين . وكتب اليه ان القرآن لم ينزل بلغة هذيل فأقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل ، وكان ذلك قبل أن يجمع عثمان الناس على قراءة واحدة ، قال ابن عبد البر بعد ان أخرجه من طريق أبي داود بسنده يحتمل أن يكون هذا من عمر على سبيل الاختيار لا أن الذي قرأ به ابن مسعود لا يجوز ، قال واذا أيسحت قراءته على سبعة أوجه أنزلت جاز الاختيار فيما أنزل ، قال أبو شامة ويحتمل أن يكون مراد عمر ثم عثمان بقولهما نزل بلسان قريش ان ذلك كان أول نزوله ثم ان الله تعالى سهله على الناس فجوز لهم أن يقرؤوه على لغاتهم على أن لا يخرج ذلك عن لغات العرب لكونه بلسان عربي مبين . فأما من أراد قراءته من غير العرب فالاختيار له أن يقرأه بلسان قريش لأنه الاولى . وعلى هذا يحصل ما كتب به عمر الى ابن مسعود لأن جميع اللغات بالنسبة الى غير العربي مستوية في التعبير فإذا لا بد من واحدة فلتكن بلغة النبي صلى الله عليه وسلم وأما العربي المجبول على لغته فلو كلف قراءته بلغة قريش لعسر عليه التحول مع إباحة الله له أن يقرأه بلغته . ويشير الى هذا قوله في حديث أبي كما تقدم هون على أمي وقوله ان أمي لا تطيق ذلك . وكأنه انتهى عند السمع لعلمه أنه لا يحتاج لفظة من ألفاظه الى أكثر من ذلك العدد غالباً ، وليس المراد

كما تقدم ان كل لفظة منه تقرأ على سبعة أوجه . قال ابن عبد البر وهذا مجمع عليه بل هو غير ممكن بل لا يوجد في القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه الا الشيء القليل مثل عبد الطاغوت . وقد أنكر ابن قتيبة أن يكون في القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه . ورد عليه ابن الانباري بمثل عبد الطاغوت . ولا تقل لهم أف - وجبريل ، ويدل على ما قرره انه أنزل بلسان قريش ثم سهل على الامة أن يقرؤوه بغير لسان قريش [ان] ذلك [وقع] بعد أن كثر دخول العرب في الاسلام فقد ثبت ان ورود التخفيف بذلك كان بعد الهجرة كما تقدم في حديث أبي بن كعب أن جبريل لقي النبي صلى الله عليه وسلم وهو عند أضاف بني غفار فقال ان الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف فقال أسأل الله معافاته ومغفرته فان أمتي لا تطيق ذلك . الحديث . أخرجه مسلم ،

وأما بني غفار فيفتح الهزة والضاد المعجمة بغير همز وآخره تاء تأتيث هو مستنقع الماء كالندير . وجهه أيضا كصا وقيل بالمد والهمز مثل آاء . وهو موضع بالمدينة النبوية ينسب الى بني غفار بكسر المعجمة وتخفيف الفاء لانهم نزلوا عنده ،

وحاصل ما ذهب اليه هؤلاء أن معنى قوله أنزل القرآن على سبعة احرف أي أنزل موسعا على القارئ ان يقرأه على سبعة اوجه أي يقرأ بأي حرف أراد منها على البدل من صاحبه كأنه قال أنزل على هذا الشرط أو على هذه التوسعة . وذلك لتسهيل قراءته اذ لو أخذوا بأن يقرؤوه على حرف واحد لشق عليهم كما تقدم . قال ابن قتيبة في أول تفسير المشكل له : كان من تيسير الله ان أمر نبيه ان يقرأ كل قوم بلغتهم . فاللهنلي يقرأ عتي حين يريد حتى حين . والاسدي يقرأ تعلمون بكسر أوله . والتميمي بهمز . والقرشي لا بهمز ، قال ولو

أراد كل فريق منهم أن يزول عن لفته وما جرى عليه لسانه طفلا وناشئا
وكهلا لشق عليه غاية المشقة فيسر عليهم ذلك بمنه - ولو كان المراد ان كل
كلمة تقرأ على سبعة أوجه لقال مثلاً أنزل سبعة أحرف - وإنما المراد ان يأتي
في الكلمة وجه او وجهان او ثلاثة او أكثر الى سبعة ؛ وقال ابن عبد البر
انكرا أكثر اهل العلم ان يكون معنى الأحرف اللغات لما تقدم من اختلاف
هشام وعمر ولفتهما واحدة - قالوا وإنما المعنى سبعة أوجه من المعاني المتفقة
بالألفاظ المختلفة نحو أقبل وتعال وهلم ثم ساق الأحاديث الماضية الدالة على
ذلك

اتمى ما أردنا نقله من فتح الباري ملخصاً

